Majallah Tahqiq
Research Journal of
the Faculty of Oriental Learning
Vol: 35, Sr. No.94, 2014, pp 105 - 120

مجلہ تحقیق
مجلہ کلیہ علوم شرقیہ
جلد ۳۵، جنوری۔ مارچ ۲۰۱۴ء، شمارہ ۹۴

شعر الرثاء لأهل البيت في العصر العباسي

☆ڈاکٹر محمد سلیم اسماعیل ☆☆محمد عباس

Abstract:

The article deals with the lamentation Arabic poetry of Abbasid period.we can trace the roots of this kind of poetry from the early period of Humanism as we find lament poetry in Hebrew Bible Lament poetry has been composed to express emotions of sorrow, sadness and grief for the loss of noble persons. It is observed that one of the richest field of Arabic poetry is the poetry of lament even Harat Hassan bin Sabit (poet of Hazrat Muhammad peace be upon Him)composed lament poetry in the battle field of Ohad.It is observed that poets of all Muslim school of thoughts were engage in composing the poetry of lament as Imam al- Sahafiee, Daibel bin Ali alkhazai, Deek -ku -ljin, Shareef al-razee and Imam Boseeri etc. have contributed in this field.The article shows that all Muslim doctrines respect the Holy family of Holy prophet (peace be upon Him), and there is no dispute regarding their status and dignity among them.The article will pave the way for removing hindrances regarding unity and harmony among Muslims.

إنّ الشّعر فهو إظهارالعواطف القلبية والكلام الموزون المقفّى المعبّر عن الأخيلة البديعة والصّورالمؤثّرة والبليغة ' وله لونٌ بارزٌ من ألوان التعبير وشأنٌ عظيمٌ بين الآثار الأدبية في الأدب العربي۔والرثاء هوفنّ ٌ من فنون الشعر ' وهو مدحٌ

☆ اسسٹنٹ پروفیسرشعبہ عربی واسلامیات ،گورنمنٹ کالج یونیورسٹی فیصل آباد۔
☆☆ ریسرچ سکالر۔شعبہ عربی واسلامیات،گورنمنٹ کالج یونیورسٹی فیصل آباد

للميت بما كان يتّصف به من صفات : كالكرم ، والشّجاعة ، والشرف والسيادة وقيل: هوالبكاء على الميّت ، وندبه ، وإظهار التفجّع لوفاته ، وتعديد محاسنه ، وتصديره عن عاطفة الحزن ۔وقد عرف دكتور جواد على للرثاء:

"وكلمة الرثاء الكلمة الجاهلية وهى تعنى بكاء الميت وتعديد محاسنه،ونظم الشعر فيه،ويقال للمراة النواحة،والتى ترثى بعلهااوغيره من الاقارب والاعزاء ممن يكرم عنده"الرثاء"۔واما "المناحة"،فهى اجتماع النساء فى مناحة لاظهار حزنهن على الميت۔۔۔"۔(۱)

وقد بعث اللّه سبحانه وتعالى سيّدنا محمدﷺ مبشرا ورحمة وسراجاً ومنيرا الينا و قد تشرّفت به أسرته، فانّ الأسرة النبويّة هيشجرةالنبوّة ، وموضوع الرسالة ، وبيت الرحمة، ومعدن العلم كما قال اللّه تعالى﴿ اِنَّمَايُرِيْدُاللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْرًا۔ ﴾ (۲)فأهل البيت أو آل البيت مصطلح إسلاميّ يشير إلى جماعةٍ من أقرباء سيّد المرسلين ﷺمطهّرين ومزكّين وذكرهم القرآن الكريم فيآية التطهير وذكرهم الرسولﷺ فيعدّة نصوصٍ واردةٍ عنه ؛ والمراد بأهل البيت عامّةً أزواج الرسولﷺ وأولادهنّ ﷺ وخاصّةً وهو سيّدنامحمّدﷺ ،والسيّدة فاطمةؓالزهراء ، وسيّدناعليؓ المرتضى، وسيّدناحسنؓ المجتبى، وسيّدنا حسين رضياللّه عنه۔ واتفق الترمذيوابن جريروابن المنذروالحاكم وابن مردويه والبيهقي بهذه الرواية،كماروي عن أمّ سلمةؓ قالت: في بيتي نزلت ﴿ اِنَّمَايُرِيْدُاللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْرًا۔﴾(۳) و كذاأخرج ابن جرير،وابن أبى حاتم،والطبراني عن أبي سعيد الخدريّ رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّهﷺ : نزلت هذه الآية﴿ اِنَّمَايُرِيْدُاللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ و يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْرًا﴾في خمسةٍ:"فيّﷺ ،وفي فاطمةؓ ،وفيعليؓ ،وفيالحسنؓ، والحسينؓ "۔ (٤)

و ذكر الإمام الحاكم في مستدركه قول النّبيﷺفي مناقب أهل البيت ، فقال:" قال النبيﷺ: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح عليه السّلام من ركبها فنجا ومن تخلّف عنها غرق ، وهلك " ۔ (٥)

فهدفنا فى هذه المقالة الوجيزة ،لتقديم المعلومات حول الرثا ء لاهل البيت

وتطوره فى العصر العباسى ـوقد تطوّرالرثاء لأهل البيت في كلّ عصرٍ و مصرـ فبذلوا الشعراء جهودهم رثاءاً لأهل البيت فى لغاتهم، وأفنوا حياتهم في هذاالمجال ـوالادب العربى العباسى مملوء بالرثاء لاهل البيت ـسنذكر عدة من شعراء العرب الّذين قدّموا رثاء هم لأهل البيت وعاشوا فيالعصرالعباسي ،ومن اشهرهم :الامام الشافعى و دعبل بن علي الخزاعي،وعبدالسلام بن رغبان المعروف بديك الجن، والسيّد الشريف الرضي،ومهيار بن مرزويه الديلمي،وأبوالأسود الدؤلي ،والحسين بن علي الطغرائي ، ومحمد بن سعيد البوصيري ـ

رثاء الامام الشافعي : (١٥٠هـ.....٢٠٤هـ)

أبوعبداللّه محمد بن ادريس الشافعيالقرشي هوثالث الآئمّة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الشافعي فيالفقه الاسلامي ، ومؤسس علم أصول الفقه ، وهوإمام في علم التفسيروعلم الحديث وقدعمل قاضيًا فعرف بالعدل والذكاء ، وكان الشافعي شاعرًافصيحًا ، وله ديوان، وفى شعره يتناول الحكمة ومناجاة الخلق والدعاء والاستغفاروالتندّم على المعاصي وفي مدح أهل البيت ورثائهم ـ (٦)

وقد رثى الإمام الشافعيلسيّدناالحسينؓ قائلًا :

تأوّه قلبي والفؤاد كئيبٌ ... و أرقّ نومي فالسهاد عجيب
فمن مبلغٌ عنّي الحسين رسالة ... وان كرهت أنفسٌ و قلوب
ذبيحٌ بلا جرمٍ كأنّ قميصه ... صبيغٌ بماء الارجوان خضيب
و ممّا نفى نومي و شيّب لمّتي ... تصاريف أيّامٍ لهنّ خطوب
تزلزت الدنيا لآل محمدٍ ... وكادت لهم صمّ الجبال تذوب
يصلي على المبعوث من آل هاشم ... ويغزىٰ بنوه إنّ ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حبّ آل محمد ... فذلك ذنبٌ لست عنه أتوب
هم شفعائي يوم حشري و موقفي ... إذا ما بدت للناظرين خطوب(٧)

وقدرثى الإمام الشافعي بسيّدنا الحسينؓ ويظهرحبّه العميق ، وألمه الشديد ، وفؤاده الكئيب ، وحزنه الوجيع وافجاعه العميق ؛ ثمّ يذكرمصائب آل محمّدٍ خاصةً لسيّدنا الحسينؓ أي كانت المصائب صُمٌّ من الجبال وأيضًا يذكرالحقائق التاريخية في

شعره بانّ الكواكب قد اقشعرت بعد استشهاده كما أخرج الطبراني عن عيسى بن الحارث الكندي قائلاً:

" لمّا قُتل الحسينؓ مكثنا سبعة أيّامٍ اواصلين العصر نظرنا إلى الشمس على أطرف الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة ونظرنإلى الكواكب تضرب بعضها بعضًا ' وكذلك ذكر كيف فعل اللّه بقاتليه وكيف صبّ اللّه عليهم من الخزي والعار والنكال قبل يوم القيامة وصار ذلك عبرةً لأولي الأبصار"۔(۸)

رثاء دعبل بن علي الخزاعي لآل البيت عليهم السلام

هو دعبل بن على الخزاعى الشاعر المشهور ،روى عن مالك بن انس وغيره،روى عنه اخوه على بن على،وله كتاب فى الشعراء و مدح الخلفاء والملوك۔وقد اجازه عبد الله بن طاهر على ابيات ستين الف درهم۔۔۔ وتوفى فى رمضان۔(۹)

يا قبر فاطمة الذي ما مثله — قبرىٌ بطيبة طاب فيه مبيتا
اذ فيك حلت بضعة الهادي — تجلّىٰ محاسن وجهها حلّيتا
ان تنأ عنه فما نأيت تباعدا — أولم تبن بدرا فما أخفيت
فسقىٰ ثراك الغيث ما بقيت به — لمع القبور بطيبة و بقيتا
فلقد بريّاها ظللت مطيّبا — تستاف مسكا في الأنوف فتيتا
ولقد تأمّلت القبور و أهلها — فتشتّتت فكري بها تشتيتا
كم مُقربٍ مقصىً وكم متباعد — مُدنىً' فساورت الحشا عفريتا (۱۰)

وقد خاطب الشاعرقبرالسيّدة فاطمةؓ الزهراء فيهذه القصيدة ،أي قبرفاطمة خيرٌ من مقابرأخرىٰ ومبيتٌ في القبر خيرٌ من عالم كلّه ' ولقبرها مكانةٌ عظيمةٌ بأنّها دُفنت فيه ثمّ يدعواللّه أن يرحم عليها' ثمّ يقول: إن بعدت عنّا بالتدفين لكن مابعدت عن قلوبنا ۔ وقدرثىٰ دعبل بن علي الخزاعي لسيّدنا عليؓالمرتضى ذكراً فضائله ومناقبه في الأبيات التالية :

وإنّك إن غبت عنّي و لم — أجدلي سوىٰ ذكر قلب و فم
لي اللّه ثم النبي الكريم — وأكرم صهرٍ له و ابن عم
قسيم الجهيم: فهذا له — وهذا لها' باعتدال القسم

وساقي الوفود بيوم الورود على كوثر ماؤه قد شبم
يذوذ عن الحوض أعداءه فكم من لعينٍ طريدٍ و كم!
فمن ناكثين ومن قاسطين و من مارقين و من مجترم
إذ قال (أحمد) صبحي يقا لُ لم تدر ما أحدثوا في الأمم
فيدعو ببُعدٍ وسُحقٍ لهم و يسحب فيهم لذات الضّرم
سلامٌ بالغداة وبالعشيّ على جدثٍ بأكناف (الغريّ)
ولا زالت غزال النور تزجي اليه صبابة المزن الرويّ
ألا يا حبّذا تُربٌ (بنجد) و قبرٌ ضمّ أوصال (الوصيّ)
وصيّ (محمّد) بأبي وأمّي وأكرم من مشىٰ بعد النبي
لئن حجّوا إلى البلد القصي فحجّي ما حييت إلى (عليّ)
سنان (محمّد) في كلّ حرب إذا نهلت صدور السمريّ
وأوّل من يجيب إلى براز إذا زاغ الكميّ عن الكميّ
مشاهد لم تفل سيوف (تيم) بهنّ ولا سيوف بني (عديّ)(١١)(٦)

يخاطب الشاعرفي هذه الأبيات بسيّدنا عليٍّ المرتضى، ياأباالحسن، أنت ليس موجود فينا اليوم ، لكن نذكرك بقلوبنا ولساننا ونتيقّن بذكرك ،فنجد فلاحاً وفوزًا في الدارين ؛ ياأباالحسن ، أنت قسيم الجحيم و أنت ساقي الوفودعلى الحوض الكوثر، وأنت تبعد وتطرد كلّ لعين ، وناقض العهد ، وقاسطٍ ، وجابرٍ، ومارقٍ ومجرمٍ فيقضي ابن عمّك سيّد المرسلين ﷺ بقضائك ببُعد الأعداء ؛ وأيضًا يسلّم الشاعرسيّدنا عليٍّ المرتضى ويدعوالله تعالىٰ أن يسلّم عليه صباحًا ومساءً ا وأن ينوّر روضته ، ثمّ يمدح قبره ثمّ يُفدي أباه وأمّه وفي نهاية الأبيات يذكر فضائله ومناقبه وقال: هو جرئ النفس ، وفاتح كلّ حربٍ ، وأوّل من آمن بالرسول الكريم وأيضًا شرّفه الله بصهره.

وكذا رثى الشاعرلسيّدنا عليٍّ المرتضى ذكراً فضائله ومناقبه في قصيدة ثانية :

واقصد بكلّ مديح أنت قائله نحو الهُداة بني بيت الكرامات
في حُبّ آل المصطفىٰ ووصّيه شغلٌ عن اللذّات و القينات
إنّ النّشيد بحُبّ آل (محمّد) أزكى وأنفع لي من القُنيات

هم نقضوا عهد الكتاب و فرضه و محكمة بالزور والشبهات
تراثٌ بلا قُربى وملك بلا هُدى وحكم بلا شورىٰ بغير هُداةٍ
ولو قلّدوا الموصى إليه زمامها لزُمّت بمأمونٍ من العثرات
أخا خاتم الرسل المصفّى القذى ومفترس للأبطال في الغمرات
وآي من القرآن تُتلى بفضله وايثاره بالقوت في اللّزبات
وفكّ عرىٰ صبري وهاجت صبابتي رسوم ديارٍ قد عفت و عرات
ديار (عليّ) و (الحسين) (وجعفر) و حمزة والسجّاد ذي الثفنات
وسبطي رسول اللّه وابني وصيّه و وارث علم اللّه والحسنات
فيا وارثي علم النبي وآله عليكم سلامٌ دائم النّفحات
هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا وهم خير قادات و خير حُماة
و عدّوا عليًّا ذا المناقب والعُلا و(فاطمة الزهراء) خير بنات
وليّهم صنو النبي (محمّد) (أبوالحسن) الفرّاج للغمرات
سأبكيهم ما حجّ لله راكبٌ و ما ناح قمري على الشجرات
سأبكيهم ما ذرّ في الأفق شارقٌ و نادى منادي الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها و بالليل أبكيهم و بالغدوات
فيا عين بكّيهم و جودي بعبرةٍ فقد آن للتسكاب والهملات(۱۲)

فيذكر الشاعر فضائل أهل البيت ومناقبهم وخاصّةً لسيّدنا عليؓ المرتضىٰ قائلا: الحُبّ لأهل البيت جُزءٌ من الإيمان و يذكرمصائب أهل البيت من الأعداء الّذين نقضوا عهدكتاب اللّه وغصبوا ارثهم وحكموا بينهم بدون تشاورٍ لواُطاعوا الوصيّ (سيّدنا عليؓ المرتضى) لفازوا في الدارين ويشير الشاعرفي هذه القصيدة مؤاخاة الرسول الكريم ﷺ لسيّدنا عليؓ المرتضى في المدينة عندماآخى بين المهاجرين والأنصار وأيضًايشير الشاعرإرث الرسول الكريم ﷺ لسيّدنا عليؓ المرتضى ثمّ يذكر ديار أهل البيت كيف صارت بعد رحيلهم ؟ وفيالأبيات الآخيرة يخاطب عينه إن اسكبي الدموع بالكثرة ۔

ومن أشهرالقصائدالّتي قيلت لرثاء سيدنا الحسينؓ بن عليؓ فى قصيدته المشهورة و مطلعها:

هلّا بكيت على (الحسينؓ) وأهله! هلّا بكيت لمن بكاه (محمّد)
فلقد بكته في السّماء ملائك زهرٌ كرامٌ راكعون و سُجّد
هذا (حسينؓ) بالسيوف مبضّع و ملطّخ بدمائه، مستشهد
عار بلا ثوب، صريعٌ في الثرىٰ بين، الحوافر و السنابك يخضد
والطيبون بنوك قتلى حوله فوق التراب صنو حيًا لاتلحد
والشمس والقمر المنير كلاهما حول النجوم تباكى، والفرقد
يا جدّا! إنّ الكلب يشرب آمنًا ريًّا، و نحن عن الفرات نطرّد
يا جدّا! إذا نحر (الحسينؓ) مضرّجٌ بالدم، و الجسم، الشريف مجرّد
يا خالقي أنت الرقيب عليهم في فعلهم ظلمًا، و إنّك تشهد
زُر خير قبرٍ بالعراق يزار و اغص الحمار فمن نهاك حمار
لم لا أزورك يا (حسين) لك الفدا قومي، و من عطفت عليه نزار
يا ابن شهيدٍ، و يا شهيدًا عمّه خير العمومة، (جعفر الطيار)
رأس بن بنت محمد و وصيه يا للرجال على قناة يرفع
و المسلمون بمنظر و بمسمع لاجازع من ذا و لا متخشع
أيقظت أجفانًا و كنت لها كرى وأنمت عينًا لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عماية و أصمّ نعيك كلّ أُذنٍ تسمع
ما روضة إلّا تمنّت أنّها لك مضجع و لحطّ قبرك موضع(١٣)

ديوان ديك الجن :(١٦١هـ.....٢٣٥هـ)

هوأبومحمدعبد السّلام بن رغبان بن عبدالسّلام بن حبيب الكلبي ، اشتهر بلقب ديك الجن وسبب لقبه بديك الجن ماذكره الأستاذخير الدين الزركلي قائلًا : سُمّي بديك الجن لأنّ عينيه كانتاخضراوين ؛ ولد ديك الجن في حمص سنة ١٦١ه/٧٧٨م فقضى معظم حياته في حمص ، هو صاحب الشهرة بالأدب ، فاق شعراء عصره ، وله ميراث كبيرٌ لسيّدنا الحسينؓ بن عليؓ ، وعاش بضعا وسبعين سنة ، وتوفّي في أيّام المتوكل سنة خمس أو ستّ وثلاثين ومأتين ـ وقدرثى صاحب ديك الجن لسيّدنا عليؓ المرتضى يبكيه ، وهو مليءٌ بالحزن والألم ويخاطب عينه أن اسكبي ، و سحّي و

جودي بالدموع الكثيرة ، و يذكر فضائله ومناقبه في الأبيات التالية ، قائلًا :

يا عين لا للغضاء ولا لكثب بكاء الرزايا سوىٰ بكاء الطرب
وجودي وجدّي بملء جفنك ثمّ احتفلي بالدموع و انسكبي
كم شرقت منهم السيوف وكم رُوّيت الأرض من دم سرب
لا بدّ أن يحشر القتيل وأن يسأل ذو قتله عن السبب
فالويل والنار والثبور لمن قد أسلموه للجمر واللّهب
يا صفوة اللّه في خلائقه و أكرم الأعجمين والعرب
إنّا إلى اللّه راجعون على سهو اليالي و غفلة النّوب
غدا عليٌّ و رُبّ منقلب أشأم قد غير منقلب
فاغترّه السيف وهو خادمه متى يُهب في الوغى به يجب
يومٌ أصاب الضُّحىٰ بظلمته وقنّع الشمس من دجى الغهب
تمري عيونًا على أبي حسن محفوظة بالكلوم و النّدب
هو تغمر ربع الهموم أعينها بالدمع حُزنًا له لربعها
تئنّ و النفس تستديربها رحىً من الموت مرّة القطب(١٤)

وقال ديك الجن رثاءً لآل البيت

دعوا ابن أبي ابن طالب للهُدىٰ و نحر العدى كيف ما يفعل
والّا فكونوا كما كان هدىً و لنار الوغى فاصطلوا
و من كعليّ فدى المصطفى بنفس، و نام فما يحفل
عيشة جاء ت قريشٌ له و قد هاجر المصطفىٰ المرسل
وطافوا علىٰ فُرشه ينظرون من يتقدّم اذ يقتلق
فلمّا بدع الصبح قام الوصي فأقبل كلّ له يعزل
ومن كعليّ اذا مادعوا نزال وقد قلّ من ينزل
تراه يقدّ جسوم الرجال فيندحر الأوّل الأوّل
وكم ضربة واصلت كفّه لفيصله فاحتوى الفيصل
سطا يوم بدر بقرضابه و في أحدٍ لم يزل يحمل

ومن بأسه فُتحت خيبر و لم ينجها بابها المقفّل
دحا أربعين ذراعًا بها هزبر له دانت الأشبل(١٥)

وقال ديك الجن رثاء ا لآل البيت

إنّ الرسول لم يزل يقول و الخير ما قال به الرسول
إنّك منّي ياعليّ الأبي بحيث من موساه هرون النبيّ
لكنّه ليس نبيٌّ بعدي فأنت خير العالمين عندي
وأنت منّي الزّرّ من قميصي و ما لمن عاداك من محيص
وأنت لي أخ وأنت الصهر زوّجك الّذي إليه الأمر
ربّ العُلى بفاطم الزهراء ذات الهُدىٰ سيّدة النساء
فالحمد على ما قد حبا لخمسة الأشباح أصحاب العبا(١٦)

يخاطب الشاعر نفسه في هذه الأبيات أن تبكي سيّدنا عليّ المرتضىٰ بالدموع الغزيرة ويذكر قتله وكيفيّة قتله ويذكر مصائبه ثمّ يذكر فضائله ومناقبه وفداه عمّه سيّد المرسلين ﷺ ليلة الجرة على فراشه وفتوحاته وقرابة بعمّه سيّد المرسلين ﷺ؛ ويذكر خصائص سيّد المرسلين ﷺ و لابن عمّه عليّ قائلا: أنت منّي بمنزلة هارون لموسىٰ ، وأنت زُرّقميصي وأيضًا أنت أخي وصهري، وزوجتك ابنتي فاطمة الزهراء سيّدة النساء ـ

رثاء السيّد الشريف الرضي (٣٥٩هـ.....٤٠٦هـ)

أبوالحسن ، محمّد بن الحسين بن موسى ، ويلقّب بالشريف الرضي، وهو الرضي العلوي الحسيني الموسوي ، أمّه السيّدة فاطمة بنت الحسين بن أبي محمّدٍ الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن أبي طالب ، والده أبو أحمد كان عظيم المنزلة في الدولتين العباسية والبويهة ، ولد بمدينة بغداد في سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م وتوفّي فيها سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م ؛ والشريف الرضي هو مفخرة من مفاخر الطاهرة ، وإمام من أئمّة العلم والحديث والأدب ، وبطلٌ من أبطال الدين والعلم والمذهب ، وشاعرٌ وفقيهٌ ، وهوأوّل في كلّ ما ورثه سلفه الطاهرمن علمٍ متدفقٍ ، ونفسياتٍ زاكيةٍ ، وأنظارٍ ثاقبةٍ ؛ ويعدالشريف الرضي من فحول الشعراء

وله شعرٌ كثيرٌ في الغزل العذري والاجتماعيات ، ومن أهمّ الأعمال الّتي اشتهر بها الشريف الرضي هو " نهج البلاغة " و كتب إمام عليؑ لعمّاله في شتى أنحاء الأرض ـ

فرثي الشريف الرضى لسيّدناالحسينؓ قائلًا :

تأوّبني داءٌ من الهمّ لم يزل بقلبي حتى عادني منه عائدي
رمونا كما يرمى الظماء عن الرّوي يذوبنا عن إرث جدٍّ و والد
أضاعوا نفوسًا بالرماح ضياعها يعزّ على الباغين منّا النّواشد
أ اللّه ما تنفكّ في صفحاتها خموش لكلب من أميّة عاقد
لقد علقوها بالنبي خصومة إلى اللّه تغني عن يمينٍ وشاهد (۱۷)

وقال الشريف الرضى رثاءً على شهداء كربلاء :

كربلاء لا زلت كربا ولا ما لقي عندك آل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا من دمٍ سال و من دمع جرىٰ
كم حصان الذيل يروي دمعها خدّها عند قتيل بالظما
تمسح الترب على إعجالها عن طلى نحرٍ رميل بالدماء
وضيوف لفلاةٍ قفرةٍ نزلوا فيها على غير قرى
لم يذوقوا المآء حتى اجتمعوا بحدي السيف على ورد الردي
تكسف الشمس شموسًا منهم لا تدانيها ضياء و علا!
و تنوش الوحش من أجسادهم أرجل السبق و أيمان الندى
و وجوها كالمصابيح فمن قمرٌ غاب و نجمٌ قد هوىٰ
يا رسول اللّه لو عاينتهم و هم ما بين قتلى و سبا
جزروا جزر الأضاحي نسله ثم ساقوا أهله سوق الاما
قتلوه بعد علم منهم إنّه خامس أصحاب الكسا
غسلوا بدم الطعن وما كفّنوه غير بوغاء الثرى (۱۸)

وقال الشريف الرضى رثاء اعلى شهداء كربلاء فى مقام آخر:

كانت مآتم بالعراق تعدّها أمويةٌ بالشام من أعيادها
جعلت رسول اللّه من خصائصها فلبئس ما ادخرت ليوم معادها

نسل النبي على صعاب مطيها ودم النبي على رؤس صعادها (١٩)

يقول الشاعر في هذه الأبيات المذكورة، وقد كانت مآتم لمحبّيه في العراق عند ما استشهد سيدنا الحسينؓ وأعياد للأعداء في الشام وكان يوم استشهاده يومٌ شديدٌ على محبّيه وكانت هذه الحادثة في التاريخ الاسلامي كبيرةٌ الّتي أذهلت المسلمين في العالم الاسلامي ـ

رثاء مهيار الديلمي : (٣٦٧هـ.....٤٢٨هـ)

هوأبو الحسن ' مهيار بن مرزويه الديلمي ثمّ البغدادي ' ولد الديلمي في سنة ٣٦٧هـ ونشأ الديلمي في عائلة فارسية ملكة من أشرف عائلات فارس ' ثمّ سافر إلى بغداد وسكن فيها ' واتصل بالسيّد الرضي ' الّذي كان يوم ذاك حجّة الأدباء والأشراف فأثر هذا الاتصال بشخصية مهيار وشاعريته ' وكان مهيار مجوسيًا ' ولكن بعد ارتباطه بالسيّد الرضي' تغيرت عقيدته من المجوسية الى مذهب أهل البيت وذلك في عام ٣٩٤هـ فهو مسلم في دينه ' علويٌ في مذهبه ' عربيٌ في أدبه ؛ وتوفّي الديلمي في الخامس من جمادي الثانية ٤٢٨هـ.

فرثي مهيار الديلمي لسيّدنا حسينؓ ' قائلًا :

أرىٰ الدين من بعد يوم الحسين عليلًا له الموت بالمرصد
ومن ساء "أحمد" ياسبطه فباء بقتلك ' ماذا يدي ؟
وليت سبقتُ فكنتُ الشهيد أمامك يا صاحب المشهد
وقد فعل اللّه لكنّني أرىٰ كبدي بعد لم تبرد
ولا زال شعري من نائح ينقل فيكم إلى منشد (٢٠)

وقال مهيار الديلمي عن امام الحسين رثاء أعليه:

وليس صديقي غير الحزين ليوم "الحسين" و غير الأسوف
هو الغصن كان كمينًا فهبّ لدىٰ "كربلاء" بريح عصوف
أنشرك ما حمل الزائرون أم لمسك خالط ترب الطُّفوف؟(٢١)

يذكر الشاعر في هذه الأبيات المصائب الّتي لاحقته بقتيل الطفّ ' ثمّ يذكر مكانته في بني هاشمٍ ' ثم يذكر ضُعف الدين بعد استشهاده' ويتمنّى أن يكون شهيدًا قبل استشهاده

ثم يقول : كل صديقي حزينٌ و أسفٌ بقتله ثمّ يرجو من كل صديقه أن يزور مشهده ـ

الحسين بن علي الطغرائي : (ت:٥١٣ھ)

هوأبواسمعيل مؤيد الدين حسين بن علي بن محمد بن عبد الصمدالأصبهاني المعروف الطغرائي' وكني بالطغرائي نسبة إلى كتابة الطغراء وهي الطرّة الّتي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي؛ ولد في أصفهان لأسرةعربية الأصل من أحفادأبي الأسود الدؤلي 'و كان ينعت بالأستاذ' وبرع في الكتابة والشعر و صار وزيرًا لسلطان مسعود بن محمد السلجوق (صاحب الموصل) هو أحد كبار العلماء في الكيمياء۔و له ديوان' ومن قصائده المشهورة لامية العجم فيرثي أهل البيت فيها:

حبّ اليهود لآل موسى ظاهر و ولاءهم لبني أخيه باد
وإمامهم من نسل هارون الالي بهم اهتدوا و لكل قوم هاد
وأرىٰ النصارىٰ يكرمون محبة لنبي نجرًا من الأعواد
و إذا توالى آل أحمد مسلم قتلوه أو وسموه بالالحاد
هذا هو الداء العياء بمثله ضلت حلوم حوضر و بوادي
لم يحفظوا حق النبي محمد في آله واللّه بالمرصاد ـ (٢٢)

هذه الأبيات معروفةٌ للشاعرأبواسمعيل مؤيد الدين حسين بن علي المعروف الطغرائي' (صاحب لامية العجم) فيذكر النوائب الّتي نزلت على أهل بيته في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ ھ ثمّ قارن بين حبّ اليهود لآل موسى وحبّ المسلمين (أهل الكوفة)لآل محمد ؛ إن اليهوديين اتبعوا واقتدوا آل موسى والكوفيون قتلوا آل نبيه محمدﷺ ولم يراعوا حقّ نبيّهم محمد في آله ـ

رثاء محمد بن سعيد البوصيري : (٦٠٧ھ.....٦٩٦ھ)

وهومحمّد بن سعيد بن حماد بن محسن البوصيري ويكنّى بشرف الدين واشتهربالبوصيري ' ولد سنة ٦٠٧ھ أو٦٠٨ھ أو ٦١٠ھ ؛بدأحياته الدراسية بحفظ القرآن ' ثم جاء إلى القاهرةوالتحق بمسجدالشيخ عبد الظاهرحيث درس العلوم الدينية ' وشيئًامن علوم اللّغة كالنحووالصرف والعروض؛وامتاز البوصيري في مدائحه النبوية بقوّة الأسلوب'وحسن الصياغة وجودة المعاني وجمال التشبيهات وروعة

السور،وبحسن اختياره للألفاظ المناسبة والملائمة للمقام ، وصار البوصيري شهيرًا بقصيدته " البردة والهمزة " وقصيدته البردة(الكواكب الدرية في مدح خير البرية) وهي تعتبر أحسن مامدح به النبي ﷺ ؛ توفّي البوصيري بالأسكندرية سنة ٦٩٦ﻫ.

وقد رثى البوصيري لسيّدنا الحسينؓ في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ للهجرة بعنوان القصيدة " والهفتاه لعصبة علوية " قائلًا :

هذي المنازل بالغميم فنادها ... و اسكب سخّي العين بعد جمادها
إن كان دينٌ للمعالم فاقضيه ... أو مهجةٌ عند الطّلول ففادها
ياهل تبُلُّ من الغليل اليهم ... اشرافةٌ للرّكب فوق نجادها
نؤيٌ كمنعطف الحنيّة دونه ... سحم الخدود لهنّ إرث رمادها
و الهفتاه لعصبةٍ علويةً ... تبعت أمية بعد عزّ قيادها
جعلت عران الذّلّ في آنافها ... وعلاط وسم الضيم في أجيادها(٢٣)

فرثى سيّدنا الحسينؓ ذكرا النوائب الّتي نزلت عليه في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ﻫ ، ويخاطب بعينه أن اسكبي الدموع الغزيرة عليه .

ورثى امام البوصيرى فى مقام آخر:

و قست منهم قلوب على من ... بكت الأرض فقدهم والسماء
فابكهم ما استطعت انّ قليلًا ... في عظيم من المصاب البكاء
كلّ يوم و كلّ أرض لكربي ... منهم كربلا و عاشوراء
آل بيت النّبيّ إنّ فؤادي ... ليس يسليه عنكم التأساء
آل بيت النّبيّ طبتم فطاب ... مدح لي فيكم و طاب الرثاء
أنا حسّانُ مدحكم فاذا نحى ... تُ عليكم فانّني الخنساء
سددتم الناس بالتقى و سواكم ... سوّدته البيضاء والصفراء(٢٤)

يقول الشاعر في هذه الأبيات أنّه لايمكن له أن ينسى وقعة الطف قائلا:إنّ الرجال لم يراعوا ولم يحترموا ولم يؤقروا حرمة سيّدنا الحسينؓ بالقرابة والنسبة لرسول اللّه ﷺ ،فاظهروا حقدهم وبغضهم بظلمهم الشديد بدلًا من الحبّ والودّ ولكن قست قلوبهم بسبب شقاوتهم على من بكت الأرض عند مصرعه والسماء ، وإنّ المصائب والبلايا

الّتي أصيبت بها هذه الأسرة الكريمة فبكاء عليها قليلٌ فيقول : أن نبكي با لدموع الغزار ' ويقول : كلّ يوم يوم عاشوراء وكلّ أرض أرض كربلاء ويظهرحبّه لآل البيت قائلاً : إنّه كالحسانؓ في مدحهم وهو كالخنساءؓ في رثائهم ۔

خلاصة القول :

فوجدت هذه المراثي العربية مليئة بالحزن والملال التى صبت على آل البيت ؛ و تعد هذه الاشعار الرثائية من أفضل الاشعار الرثائية كما وجدنا الاحاسيس المتنوّعة حسب مراتب قرابتهم ومكانتهم فيها۔وقد لاحظنا الاختلا ف فى كمية الحزن والتاثير حسب الإيمان والقرابة والمحبّة فى هذه الاشعار الرثائية۔ و قدرثى شعراء العصر العباسى لاهل البيت ذكراً بمناقب أهل البيت و فضائلهم ' و قد استخدم الشعراء الكلمات الرثائية المؤلمة فى قصائدهم.وفي التاريخ مصارع كثيرة وفجائع مثيرة يذهل الفكر أمامها ولكنّ فاجعة كربلاء فجيئةٌ عظيمةٌ ؛ قدأجمع المؤرّخون بأنّها من شدة الفجائع ولها اثر عميق في النفوس الانسانيّة ۔

فبعد تكميل هذه المقالة العلميةحول رثاء لاهل البيت ،فوصلت إلى بعض النتائج الهامّة'ومنها :

☆ قدنال الشعراء مقامًا رفيعاً في مجال الرثاء لأهل البيت ۔

☆ إنّ شعر الشعراء تعبيرٌ صادقٌ لمشاعرهم حول صعوبات والحزن التى صبت لأهل البيت ۔

☆ تقديم العواطف القلبية والمحبة الشديدة لأهل البيت فى هذه الاشعار الرثائية۔

☆ استخدام الاصناف البلاغة في الاشعار الرثائية ۔

☆ وجودالصّور'والأخيلة ' والمعاني والموسيقى الاشعار الرثائية ۔

☆ وجود الابتكارات التجديدة فيالاشعار الرثائية ۔

وقد نظموا أشعارًا حول رثاء أهل البيت للحياة الأخروية أي رجوعًا إلى اللّه ۔

☆☆☆☆

فهرس المصادر والمراجع

(١) الدكتور جواد على :المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام،دار الساقى،موقع مكتبة المدينة الرقمية،ط:٤،ج:٩،١٤٢٢١٥٠٠٢م،ص:١٥٣

(٢) الأحزاب : ٣٣

(٣) ترمذي ' أبوعيسىٰ ' محمد بن عيسىٰ : جامع ترمذي' كراتشي : قرآن محل مقابل مولوي مسافرخانه : ج:٥ ' ص: ٦٣٣

(٤) الطبري ' أبوجعفر ' محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن بيروت : دارالفكر ' ١٤٠٥ھ:ج:١٢ ' ص:٦

(٥) النيسابوري ' الحاكم ' أبو عبدالله ' محمد بن عبد الله : المستدرك علىٰ الصحيحين :ج:٣'ص:١٥١' وانظرالتبريزي ' الخطيب ' أبو عبدالله ' محمد بن عبدالله : مشكاة المصابيح: ص:٥٧٤

ترمذي ' أبو عيسىٰ ' محمد بن عيسىٰ : جامع ترمذي ' كراتشي : قرآن محل مقابل مولوي مسافرخانه ' رقم الحديث:٣٨٧١

(٦) الشافعي' محمد بن إدريس: ديوان الشافعي' بيروت : دارالكتب العلمية ' ١٣٢٠ھ ' (مقدمة)۔

(٧) نفس المصدر،ص: ٤٨

(٨) الطبراني ' أبو القاسم ' سليمان بن أحمد : المعجم الكبير ' بيروت : دارالكتب العلمية ' بدون السنة ' ج:٣ 'ص: ١١٤

(٩) العسقلانى،احمد بن على بن:الاصابة فى تميز الصحابة،دراسة وتحقيق: الشيخ عادلاحمد عبد الموجود،بيروت،ج:١١،ص:١٣٢دار الكتب، ط:ص:١٣٢ ص:١٣٢۔ ذهبى: العبر فى خبر من غبر،موقع:الاوراق http://www.alwarraq.com، ج:١،ص :٨٤

(١٠) الخزاعي ' دعبل بن علي ' شعردعبل بن علي ' بيروت : دارالجيل ' ١٤١٨ھ/

۱۹۹۸م، ص:۵۵۔۵۶

(۱۱) الخزاعي، دعبل بن علي: شعر دعبل بن علي، ص: ۲۷۷، ۱۴۵

(۱۲) المصدر السابق، ص: ۲۷۵

(۱۳) المصدر السابق، ص:۱۴۵

(۱۴) الحمصي، أبو محمد، عبد السلام بن رغبان: ديوان ديك الجن، بيروت : دارالجيل، ۱۴۱۸ھ/ ۱۹۹۸م، ص:۴۳

(۱۵) المصدر السابق، ص:۶۰

(۱۶) المصدر السابق، ص:۲۶

(۱۷) الرضي، محي الدين، عبد الحميد: ديوان الشريف الرضي، بيروت : مطبعة نخبة الأخبار ۱۹۷۱م، ص: ۳۳

(۱۸) =المصدر السابق، ص: ۲۸۱

(۱۹) =المصدر السابق، ص: ۲۸۲

(۲۰) الديلمي، أبوالحسن، مهياربن مرزويه : ديوان مهيار الديلمي، مصر : دارالكتب المصرية بالقاهرة ۱۳۴۴ھ، ج :۱، ص:۳۰۰

(۲۱) المصدر السابق، ج :۲ص:۲۶۳

(۲۲) الطغرائي، أبواسمعيل، حسين بن علي: ديوان طغرائي، بيروت : دارالكتب العلمية، بدون السنة، ص: ۱۳۱

(۲۳) ا لبوصيري، محمد بن سعيد : ديوان البوصيري، مصر، دارالكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ۱۹۷۳م، ص : ۳۶۰

(۲۴) نفس المصدر، ص: ۶۹